

سنة على حرب غزة

العمليات العسكرية الإسرائيلية ضد

غزة، 2000 – 2008*

هذه الوثيقة هي سرد للعمليات العسكرية الإسرائيلية جميعها التي استهدفت قطاع غزة حصراً (أو بشكل أساسي في حالات عدة) خلال انتفاضة الأقصى ولغاية عملية الرصاص المسبوك. وهي تحديث لوثيقة سابقة تركز على غزة (انظر الوثيقة الخاصة أ في: *Journal of Palestine Studies* 134, vol. XXXIV, no. 2, Winter 2005)، وتعدد العمليات كلها التي شنت على الضفة الغربية و/أو غزة منذ اندلاع انتفاضة الأقصى في 28 أيلول/سبتمبر 2000، ولغاية أواسط تشرين الثاني/نوفمبر 2004. والعمليات كلها تقريباً، الواردة في تلك الوثيقة، وفي هذه الوثيقة، تحمل أسماء محددة.

العملية الأولى التي تحمل اسماً، والتي استهدفت غزة حصراً، وقعت في 6 أيلول/سبتمبر 2003، أي بعد ثلاثة أعوام من الانتفاضة. فخلال عام تقريباً بعد اندلاع الانتفاضة، شُنَّ بضع "عمليات" جوهرية اتخذ فيها عمل الجيش الإسرائيلي شكل الاغتيالات (بدأت في 9/11/2000)، وإطلاق النار بغزارة على المتظاهرين (28.000 – 33.000 رصاصة في اليوم خلال تشرين الأول/أكتوبر 2000 فقط، وذلك استناداً إلى أقوال ضابط الاستخبارات الإسرائيلي في المنطقة الوسطى يوسي كوبرفاسر)، وإغلاق مراكز سكانية فلسطينية، والتحكم في الطرق. فاعتباراً من تشرين الأول/أكتوبر 2000، بدأ رئيس الحكومة الإسرائيلية، إيهود براك، تطبيق استراتيجيا ضغط على رئيس السلطة الفلسطينية آنذاك، ياسر عرفات، لوضع حد للعنف الفلسطيني، وذلك عن طريق استهداف قوات الأمن التابعة لـ "فتح" والسلطة الفلسطينية عبر هجمات على مكاتب تلك القوات ومراكزها الأمنية وشخصياتها. وبعد أن ترك براك منصبه نتيجة الانتخابات التي جرت في شباط/فبراير 2001، خلفه في رئاسة الحكومة أريئيل شارون الذي رسخ المنهج ذاته، واستخدم وسائل روتينية كانت مستخدمة أصلاً (وإن بشكل محدود)، كقصف المناطق السكنية، وانتشار الدبابات، وإطلاق النار من المروحيات، وإطلاق الصواريخ على المتظاهرين، وهدم الأبنية، وجرف الأراضي الفلسطينية المزروعة (هذا بالإضافة إلى استهداف الأشخاص بالاغتيالات). وكان شارون هو من أطلق في أول يوم لاستلامه المنصب (7 آذار/مارس 2001) أول عملية تحمل اسماً، وهي "عملية البرونز"، مع أنها لم تكن عملية بالمعنى الكامل للكلمة بقدر ما

* المصدر: *Journal of Palestine Studies* 151, vol. XXXVIII, no. 3 (Spring 2009), pp. 122-138.

إعداد: ميشيل إسبوزيتو، وهي زميلة متقدمة في هيئة تحرير JPS

ترجمة: مهي بحبوح.

كانت خطة استراتيجية لمواجهة الانتفاضة (تتضمن، بين أمور أخرى، تقسيم الضفة الغربية وقطاع غزة إلى وحدات يمكن معالجة كل منها على حدة، وبمعزل عن محيطها) لا تزال تُتبع حتى اليوم. وفي بداية عهد شارون أرسيت أيضاً بعض "القواعد"، مع أنها لم تكن بناء على أوامر منه: فبعد أن أجاز شارون وزميله ضمن "الحكومة المصغرة" (وزير الدفاع بنيامين بن إيلعزر، ووزير الخارجية شمعون بيرس) لطائرات "أف - 16" (F-16) إلقاء قنابل تبلغ زنة الواحدة منها طناً، على أهداف أمنية خاصة بالسلطة الفلسطينية في مدينة غزة ونابلس ورام الله وطولكرم - وكانت هذه أول مرة تستخدم فيها إسرائيل الطائرات الحربية فوق المناطق الفلسطينية منذ حرب 1967 - حدّد مجلس الوزراء بأكمله (2001/5/20) أنواع الأعمال العسكرية التي يمكن تنفيذها من دون الحاجة إلى موافقة المجلس الأمني أو الحكومة، وهي: الاغتيالات؛ استهداف الأسلحة الفلسطينية ومصانعها؛ تدمير "البنى التحتية الإرهابية".

ومع ذلك، فإن أعمال الجيش الإسرائيلي لم تكتسب، وبشكل أكثر عموماً، خصائص العمليات، إلا في آب/أغسطس 2001 (الهدف الواضح: الإطارة الزمنية المحدد: انتشار قوات الجيش بصورة ملحوظة: إغلاق المنطقة المستهدفة؛ فرض حظر التجول؛ إلخ)، كما أن العمليات التي تحمل أسماء محددة لم تصبح عرفاً إلا بعد عملية الرحلة الملونة في أواخر شباط/فبراير 2002. ولم تكن العمليات تتسم بالاستمرارية، وإنما كانت تمر بفترات هدوء دورية بحسب التطورات السياسية والدبلوماسية، لكن تجدر الإشارة هنا إلى أن توقف العمليات لا يعني توقف النشاط العسكري: فخلال الفترة 2000 - 2004 مثلاً، توفي من الفلسطينيين أكثر من ضعف الذين ماتوا منهم خارج إطار "العمليات". كما أن اسم "عملية" لا ينطوي بالضرورة على حجم كبير، فالعمليات تتراوح بين واحدة مركّزة ومحددة الهدف تتسبب بعدد قليل نسبياً من الضحايا، وأخرى ضخمة تؤدي إلى هلاك مئات الأشخاص.

وخلال الأعوام الأولى من الانتفاضة، تركّز معظم العمليات، بصورة حصرية أو رئيسية، على الضفة الغربية (تم استهداف غزة بشكل ثانوي في خمس من العمليات الإحدى عشرة التي شنت خلال تلك الفترة). وبدءاً من أواخر آذار/مارس 2002، كان تركيز إسرائيل منصباً بوضوح على زعزعة أسس السلطة الفلسطينية التي يرئسها عرفات في الضفة الغربية، وقد استئنيت إلى حد كبير كل من غزة وأريحا. وتضمنت عمليات الضفة الغربية: عملية الدرع الدفاعي التي دمرت، فعلياً، البنى التحتية للسلطة الفلسطينية (2002/3/29 - 2002/5/10)؛ عملية المسار المحدد (بدأت في 2002/6/18)؛ عملية مسألة وقت (2002/9/19 - 2002/9/29)؛ عملية طليعة الجيش (2002/10/25 - 2002/11/10). ولم تكن غزة مشمولة في أي من تلك العمليات.

بعد الهجمات الكبيرة التي حدثت في سنة 2002 في الضفة الغربية، مرت عشرة أشهر هدأت خلالها العمليات ونشطت المساعي الدبلوماسية المكثفة، لكن بحلول أيلول/سبتمبر 2003، كانت مساعي السلام قد أصابها الركود، وتغيرت الديناميات الإقليمية بعد احتلال الولايات المتحدة للعراق، وهو ما سمح لإسرائيل باستئناف ممارسة الضغط العسكري على الفلسطينيين. وأصبحت غزة هي نقطة التركيز الجديدة، وكانت أولوية إسرائيل هي تقويض مكانة "حماس" المتفوقة هناك، وقد افتتحت عملية ناقل الحركة الآلي (Operation Automatic Gear) في 6 أيلول/سبتمبر 2003 هذه المرحلة الجديدة. واعتباراً من تلك اللحظة حتى عملية الرصاص المسبوك، كانت أغلبية

العمليات التي تحمل أسماء محددة، تستهدف غزة.

إن العمليات التي استهدفت غزة، والمذكورة أدناه، تعكس بوضوح، التطورات على الأرض. فمند خريف سنة 2003، بدأ شارون يناقش علناً رسم حدود دائمة لإسرائيل، من جانب واحد، إذا ما رفض الفلسطينيون الإذعان لمطالب إسرائيل التفاوضية، وبحلول شباط/فبراير 2004، قدم رسمياً فكرته في الانسحاب الأحادي الجانب من غزة إلى رئيس الجمهورية الأميركي جورج بوش، وذلك كجزء من خطة "فك الارتباط" التي تتضمن أيضاً إخلاء عدة مستعمرات في الضفة الغربية. وشكّلت إحدى عشرة عملية - اعتباراً من تشرين الأول/أكتوبر 2003 إلى كانون الثاني/يناير 2005 - الأساس لفك الارتباط. وكانت العمليات الأربع الأولى تتضمن جرف المناطق السكنية الفلسطينية من أجل إقامة مناطق عازلة على طول الحدود الشمالية والجنوبية لغزة، أما بالنسبة إلى باقي العمليات السابقة لفك الارتباط، فإن التركيز فيها تحوّل إلى "اجتثاث البنى التحتية للإرهاب"، ومنع إطلاق الصواريخ على إسرائيل. وشهدت الفترة بين كانون الثاني/يناير 2005 وبين فك الارتباط الفعلي الأحادي الجانب، والذي انتهى في 20 أيلول/سبتمبر 2005، فترة "هدوء" أخرى، نتجت من توقف الفلسطينيين من جانب واحد عن إطلاق النار.

بعد الانتهاء من فك الارتباط مع غزة مباشرة، صعّدت إسرائيل وتيرة الاغتيالات في الضفة الغربية، الأمر الذي دفع الفصائل في غزة إلى إطلاق الصواريخ وقذائف الهاون على إسرائيل، والتي لم تكن تتسبب، عادة، بدمار أو إصابات بشرية. وتلا ذلك، خلال فترة قصيرة، عمليتان حملتا اسمين لا يخلوان من مغزى، وهما: "الأمطار الأولى" و"عود على بدء"، وكانتا تهدفان إلى إرساء "قواعد اللعبة" الجديدة في غزة، من أجل وضع حد لردات فعل فلسطيني غزة على العنف الذي يمارسه الإسرائيليون في الضفة الغربية، ولتشجيع السلطة الفلسطينية على الإفادة من "الواقع الجديد" والسيطرة بحزم على الوضع الأمني في غزة. وهذه العمليات التي حدثت في أعقاب الانسحاب مباشرة هي العمليات القليلة في هذه المجموعة الحالية، التي تشمل الضفة الغربية، وكذلك غزة، ولو بصورة ثانوية.

واعتباراً من كانون الأول/ديسمبر 2005، بدأت إسرائيل تنفيذ نوع جديد من العمليات غير المحددة زمنياً ضد غزة، هدفه قمع المقاومة الفلسطينية، وتعميق مناطق إسرائيل الدفاعية والعازلة داخل منطقة غزة. وحتى لدى انتقال رئاسة الحكومة من شارون (الذي أصيب في كانون الثاني/يناير 2006 بجلطة جعلته عاجزاً عن أداء مهامه) إلى رئيس الحكومة إيهود أولمرت، فإن عمليات الجيش الإسرائيلي استمرت من دون توقف، واحدة في إثر الأخرى، وقد جعلت غزة هدفاً لعمليات عسكرية شبه مستمرة - تضمنت العمليات ضربات جوية؛ اغتيالات؛ غارات جوية وهمية؛ قصف مدفعي؛ اجتياحات برية؛ حملات اعتقال - خلال الفترة كانون الأول/ديسمبر 2005 - تشرين الثاني/نوفمبر 2006. وفي هذه الأثناء فازت "حماس" في الانتخابات البرلمانية في كانون الثاني/يناير 2006، لكن حتى قبل تنصيب الحكومة الجديدة التي تقودها الحركة، في شباط/فبراير 2006، فإن إسرائيل فرضت حصاراً على القطاع حددت فيه الصادرات والواردات في مسعى فاشل لإجبار الحركة إما على تليين مواقفها، وإما على الإحجام عن تأليف الحكومة (بعد أن استلمت الحكومة التي تقودها "حماس" مسؤولياتها في آذار/مارس 2006، أعلنت إسرائيل السلطة الفلسطينية التي تقودها "حماس" كياناً معادياً في نيسان/أبريل 2006، وواصلت حصار غزة، في حين قاطع المجتمع الدولي أي جهة موالية لـ "حماس"، وحوّل المساعدات جميعها التي

كانت تُقدّم سابقاً إلى السلطة الفلسطينية، إلى محمود عباس مباشرة، وكان هذا أصبح رئيساً للسلطة الفلسطينية و"فتح" بعد وفاة عرفات في تشرين الثاني/نوفمبر 2004).
في أواخر تشرين الثاني/نوفمبر 2006، استطاع عباس تحقيق هدنة غير مكتوبة لستة أشهر بين إسرائيل والفصائل الفلسطينية في غزة (عدا الجهاد الإسلامي)، فهدأت وتيرة العنف بشكل ملموس، وبالتالي، لم تحدث خلال الفترة كانون الأول/ديسمبر 2006 - شباط/فبراير 2008، أي عمليات تحمل أسماء، على الرغم من استمرار الجيش الإسرائيلي في القيام بضربات جوية، وبإطلاق النار عبر الحدود ومن البحر، وبجرف البيوت داخل حدود غزة، كما أن إسرائيل واصلت حصار غزة. وفي كانون الثاني/يناير 2007، أي بعد مرور أكثر من عام على العمليات المتواصلة ضد غزة، والتي لم تحقق أي نتائج تذكر، غيرت إسرائيل تكتيكاتها، وأضافت إلى رداً فعلها العسكرية تنسيقاً جديداً مع الولايات المتحدة ومع رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس، من أجل زعزعة استقرار حكومة السلطة الفلسطينية التي تقودها "حماس" (في غزة بصورة أساسية). ومن ضمن الأساليب التي لجأت إليها إسرائيل تسليح كوادر "فتح" في غزة وتشجيعها على تحدي سلطة "حماس" هناك، لكن هذه الاستراتيجية تمخضت في النهاية عن نتائج عكسية، إذ قامت "حماس"، التي كانت تشعر بالقلق إزاء احتمال تغيير موازين القوى نتيجة تدفق شحنات الأسلحة الأجنبية إلى "فتح"، بضربة استباقية أحكمت بواسطتها سيطرتها على غزة، وطرقت "فتح" في حزيران/يونيو 2007. وردت إسرائيل بتشديد الحصار، وإعلان "حرب اقتصادية" على غزة (كانون الثاني/يناير 2008)، فمنعت جميع الصادرات من غزة، وحددت دخول الواردات إلى القطاع كثيراً، بحيث اقتصر على السلع الإنسانية الأساسية. وبعد ذلك بفترة وجيزة، بدأت إسرائيل تخطط جدياً لعملية اجتياح عسكري كبيرة على قطاع غزة من أجل إقالة "حماس" عن السلطة، فشنت عملية الشتاء الساخن في أواخر شباط/فبراير 2008 لتكون بمثابة التجربة لمحاولة إعادة الاستيلاء على المراكز السكنية في غزة، وفي كانون الأول/ديسمبر 2008، وبعد أشهر من التخطيط، شنت عملية الرصاص المسبوك (للاطلاع على التفصيلات الخاصة بخلفية الأحداث المتعلقة بغزة خلال فترة إعداد تلك العملية، انظر أدناه: "فك الارتباط الإسرائيلي الأحادي الجانب من بداية الفكرة حتى عشية الحرب - مسرد زمني"، ص ١).

إن العمليات المذكورة أدناه، هي تلك التي أقرها المجلس الوزاري المصغر للشؤون السياسية والأمنية، أو مجلس الوزراء الإسرائيلي بأكمله، والتي تم إعلانها، كما أن أسماءها هي من وضع الجيش الإسرائيلي. بالإضافة إلى ذلك، فإن الأقوال المقتبسة، والمتعلقة بأهداف العمليات، منقولة عن مسؤولين أو ناطقين رسميين إسرائيليين. وإذا أخذنا في الاعتبار أن بعض تلك العمليات لا يختلف على نحو واضح عن العديد من الأعمال المركزية التي نفذها الجيش الإسرائيلي اسم عمليات، ولم يتم إعلانها. إن القائمة التالية، وكما ورد آنفاً، تضم فقط العمليات التي كانت فيها غزة هي الهدف حصراً أو الهدف الرئيسي، إذ إن غزة كانت هدفاً ثانوياً في العمليات الخمس التالية: عملية البرونز (2001/3/7 - 2001/6/14)؛ خطة موفاز (2001/8/9 - 2001/9/17)؛ العملية الثانية ضد قوات أمن السلطة الفلسطينية (2001/12/3 - 2001/12/10)؛ "الرد المنذوق" على "حماس" (2002/2/11 - 2002/2/21)؛ عملية الرحلة الملونة (2002/2/28 - 2002/3/19) (للاطلاع على التفصيلات، انظر الوثيقة الخاصة أ في: *Journal of Palestine Studies* 134, vol. XXXIV, no. 2, Winter 2005).

عملية ناقل الحركة الآلي (Operation Automatic Gear)، 2003/9/6

عملية مركزة ومحددة الهدف لاغتيال قادة "حماس" الكبار بواسطة قنبلة تبلغ زنتها 550 باونداً ألقيت على مبنى سكني مؤلف من ثلاث طبقات في مدينة غزة، كان يجتمع فيه مؤسس "حماس" وقائدها الروحي، الشيخ أحمد ياسين، بعدة قادة كبار من "حماس" (نُكر أنه كان بينهم المسؤول الرئيسي عن صنع القنابل محمد ضايف، والقائد عدنان الغول، ومستشار ياسين الذي أصبح رئيس الحكومة فيما بعد، إسماعيل هنية). وأسفر الهجوم عن إصابة ياسين و14 شخصاً آخرين بجروح طفيفة (12 منهم كانوا من المارة) (للاطلاع على التخطيط والتفكير الإسرائيليين بشأن هذه الضربة، انظر: Washington Post, 27/8/2006).

عملية مجرى العصب (Operation Root Canal)، 2003/10/19 – 2003/10/10

الهدف منها هو الاستيلاء على قطعة أرض في رفح على امتداد الحدود المصرية وجرفها، وقد قُتل 17 فلسطينياً، وجرح جندي إسرائيلي واحد، وأكثر من 100 فلسطيني، كما أن 300 بيت فلسطيني تم تدميرها، أو إلحاق أضرار فادحة بها. في 10/10، أرسلت 100 دبابة تقريباً إلى رفح بذريعة البحث عن أنفاق المهربين (أغلقت ثلاثة أنفاق فقط خلال هذه العملية)، وقد استولى الجيش الإسرائيلي على قطعة أرض على طول الحدود مع مصر، تمر عبر أحياء بينا، والبلوك ج، والبلوك و، في رفح، واشتبك مع عناصر من كتائب شهداء الأقصى و"حماس"، الذين حاولوا اعتراض تقدمه. وأمر سكان هذه المنطقة الواقعة على الحدود الأمامية بإخلاء بيوتهم التي جُرفت لإنشاء منطقة خالية على طول الحدود بعمق 150 متراً. وفي 10/19، انسحب الجيش الإسرائيلي لـ"إعادة تجميع قواته"، منهيًا العملية رسمياً.

عملية القصة المستمرة، 2004/4/5 – 2004/3/15

غارات، واغتيالات، وعمليات جرف، وخصوصاً في رفح، بهدف القضاء على "الشخصيات القيادية العليا في جميع المنظمات الإرهابية"، وقد قُتل 37 فلسطينياً، وجرح 80 آخرون على الأقل، كما أن 111 منزلاً تم تدميرها، أو إلحاق أضرار فادحة بها، وجرف أكثر من 100 دونم من الأراضي.

في 2004/2/23، أعلن رئيس الحكومة الإسرائيلية، شارون، أنه نظراً إلى فشل السلطة الفلسطينية في وضع حد للعنف، فإنه سيطلب من الرئيس الأميركي جورج بوش الاعتراف بخطوط الأمن الإسرائيلية داخل المناطق المحتلة باعتبارها "ترتيباً مؤقتاً طويل الأجل". وفي 3/1، وصل فريق إسرائيلي إلى واشنطن لمناقشة الخطوات العملية اللازمة لتنفيذ فك ارتباط أحادي الجانب مع غزة. وفي 3/2، أعلن الجيش الإسرائيلي خطته الرامية إلى "القضاء على أكبر عدد ممكن من الإرهابيين" في غزة قبل الانسحاب الأحادي الجانب، وفي 3/14، وبعد العملية الانتحارية التي نفذتها "حماس" في اليوم نفسه، في ميناء أسدود انطلاقاً من غزة (قُتل فيها 11 شخصاً وجرح 20

خريطة العمليات الإسرائيلية في غزة، كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٨



المصادر: معهد البحوث التطبيقية - القدس؛ "نيويورك تايمز"؛ الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية - القدس؛ المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان - غزة.

آخرون)، أقر المجلس الوزاري المصغر عملية القصة المستمرة، وفوّض الجيش الإسرائيلي والشين بيت "التصرف بحرية تامة ضد الشخصيات القيادية العليا في المنظمات الإرهابية كافة". وخلال الأسابيع الثلاثة التالية، صعّد الجيش الإسرائيلي وتيرة الاغتيالات (ولا سيما ضد القائد الروحي لـ "حماس"، الشيخ أحمد ياسين، في 22/3)، وقام بعمليات جرف، وبغارات، وبهدم للمنازل في كل أنحاء غزة (وخصوصاً في رفح). وبمناسبة أعياد الفصح اليهودي، وترقباً للاجتماع الذي كان مقرراً عقده بين بوش وشارون في واشنطن بتاريخ 4/14، خفضت إسرائيل وتيرة العمليات وأغلقت القطاع في 4/5، لكن لم يعلن رسمياً انتهاء عملية القصة المستمرة.

عملية قوس قزح،

(2004/5/24 – 2004/5/13)

هجوم بري وعمليات جرف في جنوب غزة (رفح ومخيم البرازيل للاجئين) بهدف توسيع الشريط على طول الحدود المصرية في سياق خطة شارون فيما يتعلق بفك الارتباط الأحادي الجانب، وقد قُتل 43 فلسطينياً على الأقل، وجرح مئات آخرون، وشُرد الآلاف من بيوتهم بصورة موقته، كما أن 167 منزلاً تم تدميرها، أو إلحاق أضرار فادحة بها، وجُرف 725 دونماً من الأراضي.

بدأت العملية على خلفية التصعيد المفاجئ للعنف في أعقاب قيام إسرائيل باغتيال عبد العزيز الرنتيسي، الذي خلف الشيخ ياسين في قيادة "حماس"، في 17/4/2004. وبعد مواجهة عنيفة بين الجيش الإسرائيلي وبين عناصر من "حماس" والجهاد الإسلامي خلال الغارة الإسرائيلية على مدينة غزة في تاريخ 11 – 5/12، والتي تسببت بمقتل 15 فلسطينياً و6 جنود إسرائيليين، وبجرح نحو 170 فلسطينياً، هاجم الجهاد الإسلامي (5/12) قافلة تابعة للجيش الإسرائيلي في المنطقة الإسرائيلية العازلة (طريق فيلادلفي) على طول الحدود المصرية مع رفح، فقتل خمسة جنود، وجرح ثلاثة آخرين.

بدأت عملية قوس قزح (التي لم يُطلق عليها هذا الاسم إلا في 5/17) بتاريخ 5/13، أي في اليوم التالي للهجوم الذي شنه الجهاد الإسلامي، كعملية جرف كبيرة في رفح (شبيهة بعملية مجرى العصب، لكن على نطاق أوسع)، وذلك بهدف توسيع طريق فيلادلفي، وقد أدت العملية إلى مقتل 12 فلسطينياً، وجرح ما يقرب من 300 فلسطيني، وتشريد الآلاف، وتدمير 80 – 120 منزلاً خلال يومين. وفي 5/15، أمرت المحكمة العليا الإسرائيلية بوقف أعمال الجرف انتظاراً لصدور حكم بشأن عريضة مقدمة من جماعات حقوق الإنسان الفلسطينية للطعن في شرعية العملية التي بررتها إسرائيل بالضرورات العسكرية؛ وقضى قرار المحكمة الصادر في 5/16، بأن هناك "ضرورة حقيقية ومستعجلة" لتوسيع المنطقة العازلة. وفي اليوم التالي، استأنف الجيش الإسرائيلي أعمال الهدم، فأرسل 1000 جندي، و100 دبابة، وجرافات مدرعة، إلى رفح وإلى مخيم البرازيل المجاور، واستمر الجرف حتى 5/24، عندما انسحب الجيش الإسرائيلي لإعادة تجميع قواته. غير أن الجرف استؤنف في رفح على نطاق واسع، في 5/28، لكن ذلك لم يعلن رسمياً أنه استمرار لعملية قوس قزح.

عملية الدرع الفعّال،

2004/6/28 – 2004/8/5

عمليات جرف في شمال غزة (بيت حانون ومخيم جباليا) لتوسيع المنطقة العازلة وسحق المقاومة، وقد قُتل 22 فلسطينياً على الأقل، وجرح 200 آخرون، كما أن 15 منزلاً تم تدميرها، وجُرف 3900 دونم من الأراضي تقريباً.

كان هدف العملية الرسمي وقف إطلاق صواريخ "حماس" على إسرائيل، لكن الهدف الحقيقي كان توسيع المنطقة العازلة على طول حدود غزة مع إسرائيل (كعملية قوس قزح في جنوب غزة) وسحق المقاومة الفلسطينية هناك قبل فك الارتباط الأحادي الجانب. وقد فرض الجيش الإسرائيلي حظر تجول لـ 24 ساعة في بيت حانون ومخيم جباليا استمر خمسة أسابيع، وكان يطلق النار على أي شخص يشاهد خارج منزله، ويجرف طرق المواصلات الرئيسية، والمنازل، والدروب العريضة للأراضي الزراعية، من أجل إنشاء منطقة خالية بعرض 8 كيلومترات حول الموقعين.

عملية لتوسيع المنطقة العازلة في شمال غزة،

2004/9/11 – 2004/9/8

متابعة عمليات الجرف في شمال غزة (بيت حانون؛ بيت لاهيا؛ جباليا)، وقد قُتل 8 فلسطينيين، وجرح 100 آخرون، كما أن 50 منزلاً تم تدميرها، أو إلحاق أضرار فادحة بها، وجُرف 90 دونماً من الأراضي.

بذريعة الرد على الإطلاق المتزايد لصواريخ "حماس" من شمال غزة على إسرائيل (والتي دمرت سيارة، ولم توقع إصابات)، شن الجيش الإسرائيلي غارة كبيرة استمرت أربعة أيام على بيت حانون وبيت لاهيا وجباليا، قصف خلالها المناطق السكنية بعنف، متابعاً عمليات الجرف من أجل توسيع المنطقة العازلة الشمالية في تمديد ظاهر لعملية الدرع الفعال.

عملية أيام الندم،

2004/10/15 – 2004/10/1

هجوم بري لمدة طويلة على شمال غزة (بيت حانون؛ بيت لاهيا؛ جباليا) من أجل اجتثاث "البنية التحتية الإرهابية"، وللضغط على السكان المدنيين في غزة، وخصوصاً في الشمال، وقد قُتل 87 فلسطينياً (120 شخصاً، إننا ما أضفنا عدد الأشخاص الذين ماتوا خلال الأربع والعشرين ساعة السابقة لإعلان العملية بشكل رسمي)، وجرح ما لا يقل عن 234 فلسطينياً، كما أن 195 منزلاً تم تدميرها، أو إلحاق أضرار فادحة بها، وجُرف 1000 دونم من الأراضي.

خلال الفترة السابقة للعملية، صعّد الفلسطينيون في أواخر أيلول/سبتمبر 2004، وتيرة إطلاق الصواريخ من شمال غزة على المستعمرات اليهودية القريبة، وعلى إسرائيل. ومع أن الأضرار كانت طفيفة، إلا أن الجيش الإسرائيلي كثّف هجماته على بيت حانون وبيت لاهيا وجباليا، الأمر الذي جعل الفلسطينيين يردون بتصعيد هجومهم، فيطلقون صاروخاً على سديروت (9/29) قتل إسرائيليين اثنين. وكانت حصيلة الاشتباكات العنيفة خلال الساعات الأربع والعشرين التالية، مقتل 33 فلسطينياً على الأقل، وجنديين إسرائيليين، ومستوطن إسرائيلي، وجرح 200 فلسطيني، وهدم 22 منزلاً فلسطينياً. وفي وقت متأخر من ذلك اليوم، صادق المجلس الوزاري المصغر على عملية أيام الندم بهدف "الضغط بشدة على المدنيين الفلسطينيين في قطاع غزة، وذلك في مسعى

لإجبار السكان على الحيلولة دون إطلاق صواريخ القسام على الأراضي الإسرائيلية، وكذلك من أجل تحسين دفاعات المستعمرات في المنطقة، واجتثاث "بنى الإرهاب التحتية".
في اليوم التالي، أرسل الجيش الإسرائيلي 2000 جندي، و300 دبابة، وجرافات مدرعة إلى شمال غزة من أجل السيطرة على شريط ساحلي طوله 9 كم²، وعلى منطقة عازلة بعمق 10 كيلومترات على طول الحدود، وحاصر القرى والمخيمات في شمال غزة وفتشها، وفرض حظر التجول 24 ساعة، وقطع الكهرباء والماء. وخلال الأيام التالية قصف المناطق السكنية، وأطلق عليها النيران، وجرفها، ودمر 195 منزلاً على الأقل، أو ألحق بها أضراراً فادحة (تاركاً 854 غزياً من دون مأوى)، و36 ورشة صناعية، و19 مرفقاً عاماً (بما في ذلك خمس مدارس تابعة للأونروا، ومدرسة تابعة للسلطة الفلسطينية، وحضانة أطفال على الأقل تابعتان للقطاع الخاص، وثمانية مساجد وعبادة). وردّ الفلسطينيون بإطلاق النار، وبالصواريخ المضادة للدبابات، وبالشراك الذكية، لكن لم يسجل أي إصابات لدى الجيش الإسرائيلي. وتحت ضغط دولي مكثف، ونتيجة لمشاعر القلق إزاء أن تتحول العملية إلى مشكلة علاقات عامة، انسحب الجيش الإسرائيلي إلى مشارف القرى في 10/15 (بداية شهر رمضان)، منهيّاً بذلك العملية. وقدّرت الأمم المتحدة الخسائر بثلاثة مليارات دولار.

عملية البلاط الملكي،

2004/10/26 – 2004/10/24

هجوم جوي وبري لمنع إطلاق قذائف الهاون من خان يونس على المستعمرات اليهودية القريبة، وقد قتل في هذه العملية 17 فلسطينياً، وجرح 74 آخرون على الأقل، كما دُمّر 29 منزلاً على الأقل.

السبب المعلن لتلك الغارة العنيفة هو قذائف الهاون البالغ عددها 30 تقريباً، والتي أطلقت من خان يونس على المستعمرات اليهودية القريبة بعد اغتيال عدنان الغول، مساعد قائد كتائب عز الدين القسام، وأحد مؤسسي حركة "حماس"، في 10/21 (وكانت إسرائيل التي تعتبره مسؤولاً عن تطوير صواريخ القسام، حاولت اغتياله في أربع مناسبات سابقة على الأقل).
وتم دعم العملية البرية بطائرات من دون طيار، وبضربات جوية استهدفت الفلسطينيين الذين كانوا يواجهون القوات الغازية، وكان ثلاثة من الفلسطينيين السبعة عشر الذين قُتلوا في هذه الغارة، من ضباط الأمن التابعين للسلطة الفلسطينية، بينما كان 6 منهم من المسلحين و8 من المدنيين. وقد انسحب الجيش الإسرائيلي في 10/26.

عملية الحديد البرتقالي،

2004/12/18 – 2004/12/17

غارة على خان يونس لتدمير المنازل التي قيل إنها تؤوي الصواريخ وقذائف الهاون الفلسطينية، وقد قتل 11 فلسطينياً، وجرح 53 آخرون، كما دُمّر 39 منزلاً.
خلال الأسبوع السابق لعملية الحديد البرتقالي، وهي أول عملية كبيرة منذ وفاة ياسر عرفات في 2004/11/10، أعلن الجيش الإسرائيلي أن ما يقرب من ثلاثين صاروخاً وقذيفة هاون أُطلقت من منطقة خان يونس، وتسببت بمقتل عامل تايلاندي، وجرح 17 إسرائيلياً في

المستعمرات الواقعة جنوبي غزة. وفي 12/15، شن الجهاد الإسلامي وصقور "فتح" هجوماً مشتركاً على مركز للحراسة تابع للجيش الإسرائيلي عند معبر كيسوفيم في غزة، فجرح 4 جنود إسرائيليين، ومدني إسرائيلي واحد، وقد أدى إطلاق مزيد من قذائف الهاون الفلسطينية في 12/16 إلى جرح 11 جندياً إسرائيلياً في مركز للجيش الإسرائيلي خارج مستعمرة عتسمونا جنوبي غزة. وفي اليوم التالي، شنت إسرائيل غارة قصفت فيها المناطق السكنية، وأطلقت عليها الصواريخ من المروحيات، واشتبكت مع المقاتلين الفلسطينيين، وهو ما أجبر مئات منهم على الفرار من المنطقة. وانسحب الجيش الإسرائيلي ظهيرة 12/18، بعد أن هدم وجرف 39 منزلاً كان يدّعي أنها تؤوي قذائف الهاون.

عملية الحديد البنفسجي،

2005/1/2 – 2004/12/22

مناورات متواصلة في منطقة خان يونس بهدف قمع إطلاق الصواريخ الفلسطينية على المستعمرات الواقعة جنوبي غزة، وقد قُتل 11 فلسطينياً، وجرح 36 آخرون على الأقل، كما تم تدمير 14 منزلاً تدميراً كاملاً، وألحقت أضراراً كبيرة بـ 21 منزلاً. عندما استأنف الفلسطينيون إطلاق الصواريخ وقذائف الهاون على المستعمرات الواقعة جنوبي غزة في إثر انسحاب الجيش الإسرائيلي من خان يونس بعد انتهاء عملية الحديد البرتقالي في 12/18، شن الجيش الإسرائيلي في 12/22، في خان يونس والمناطق المحيطة بها، ما وصف بأنه مناورة غير محددة زمنياً، وذلك لقمع الهجمات الفلسطينية. وتضمنت العملية محاولات لاعتقال اثنين من قادة "حماس" المحليين، وكذلك مواجهات مع مقاتلين من الأهالي، وقصفاً لمناطق سكنية. وبانسحاب القوات الإسرائيلية في 1/2، كان قد قُتل 11 فلسطينياً (8 مقاتلين، بمن فيهم أحد قادة "حماس" المحليين، و3 مدنيين)، وجرح 36 فلسطينياً على الأقل، كما تم تدمير 14 منزلاً تدميراً كاملاً، وإلحاق أضرار كبيرة بـ 21 منزلاً.

عملية رياح الخريف،

2005/1/2

غارة برية استمرت يوماً واحداً على شمال غزة (بيت حانون؛ بيت لاهيا؛ جباليا) هدفها وضع حد لإطلاق الصواريخ الفلسطينية من شمال غزة في اتجاه إسرائيل، وقد أصيب فلسطيني واحد بجروح بليغة.

شنت هذه العملية، شأنها شأن عمليتي الحديد البرتقالي والحديد البنفسجي، بعد أن أطلق الفلسطينيون من شمال غزة سبعة صواريخ خلال ثلاثة أيام على منطقة إيرز الصناعية، وعلى سديروت داخل إسرائيل، الأمر الذي تسبب بجرح 7 إسرائيليين. وقد رد الجيش الإسرائيلي بإرسال قوات برية إلى شمال غزة لمحاصرة بيت حانون وبيت لاهيا ومخيم جباليا للاجئين، وأطلقت القوات الإسرائيلية النار على المناطق السكنية، فأصيب صحافي فلسطيني كان يقوم بتغطية العملية إصابة بليغة، لكنها انسحبت في وقت لاحق من اليوم نفسه، من دون اتخاذ إجراءات عقابية ضخمة.

عملية الخطوة الشرقية،

2005/1/17 – 2005/1/15

هجمات مركزة ومحددة الهدف على مدينة غزة والمناطق المحيطة بها بهدف وضع حد لإطلاق الصواريخ وقذائف الهاون الفلسطينية من تلك المنطقة، وقد قُتل 5 فلسطينيين (اثنان من عناصر المقاومة و3 مدنيين)، وجرح 13 فلسطينياً على الأقل، كما تم جرف 80 دونماً من الأراضي. بعد أيام من انتخاب محمود عباس رئيساً للسلطة الفلسطينية، في تاريخ 1/10، خلفاً لعرفات الذي توفي في تشرين الثاني/نوفمبر 2004، تصاعدت أعمال العنف بين الإسرائيليين والفلسطينيين في 1/13، متزامنة مع هجوم مشترك شنته كتائب شهداء الأقصى و"حماس" ولجان المقاومة الشعبية على جنود إسرائيليين متمركزين عند معبر كرني، وتسبب بمقتل أربعة عمال مدنيين إسرائيليين، واثنين من سائقي الشاحنات من الفلسطينيين الإسرائيليين، وجرح 10 أشخاص. وسرعان ما شن الجيش الإسرائيلي غارات جوية على دير البلح (المكان المفترض أنه يؤوي المهاجمين)، وأغلق في اليوم التالي القطاع، وعُلّق الاتصالات بالسلطة الفلسطينية، معلناً أن عباس لم يكن يتصرف بالسرعة الكافية للقضاء على "الإرهاب"؛ وفي صباح 1/15 شن عملية الخطوة الشرقية التي أعلن عنها باعتبارها هجمات مركزة ومحددة الهدف لوقف الصواريخ وقذائف الهاون الفلسطينية، وقصف المناطق السكنية، وأغار على المباني واحتلها لاستخدامها نقاطاً للمراقبة، وجرف أراضي فلسطينية، واشتبك مع الفلسطينيين مخلفاً 5 قتلى فلسطينيين، و13 جريحاً. وأوقفت إسرائيل العمليات بعد أن دعا عباس (1/17) إلى عقد جلسة طارئة لمجلس الأمن القومي التابع للسلطة، وأمر قوات الأمن التابعة للسلطة الفلسطينية ببذل "أقصى جهودها" لوضع حد للهجمات الفلسطينية، بما في ذلك تحديد مناطق أمنية ووضع حواجز على الطرق للحؤول دون إطلاق الفلسطينيين النار.

[بعد عملية الخطوة الشرقية، مرت تسعة أشهر من دون حدوث عمليات إسرائيلية (على الرغم من استمرار الغارات والاعتقالات وحوادث إطلاق النار عبر الحدود من حين إلى آخر)، وفي 1/24، أعلنت الفصائل في غزة وقف إطلاق نار أحادي الجانب لشهر واحد يمكن خلاله إجراء مفاوضات بشأن وقف إطلاق نار طويل الأجل بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وعرضت على إسرائيل هدنة رسمية في مقابل وقف الاعتقالات. وافقت إسرائيل في البداية فقط "للرد على التهديد بالمثل"، وبعد بضعة أيام من التزام الفلسطينيين الهدوء، أوقفت "العمليات الهجومية" على غزة، ثم في 2/8، اتفق عباس وشارون على وقف متبادل لإطلاق النار. ووافقت الفصائل في غزة على التزام الهدنة حتى نهاية السنة.

وعلى الرغم من النجاح النسبي لوقف إطلاق النار، أمر شارون الجيش الإسرائيلي، في مطلع أيار/مايو 2005، بتخطيط سلسلة من "عمليات القبضة الفولانية" في غزة، أطلق عليها اسم عملية نهاية الصيف، كي يجري تنفيذها في حال حدوث عنف من جانب الفلسطينيين في أثناء فك الارتباط الإسرائيلي مع غزة، والمقرر في آب/أغسطس 2005. واستناداً إلى صحيفة "يديعوت أحرونوت" (2005/5/6)، فإنه كان يمكن البدء بتلك العمليات حتى قبل الشروع في فك الارتباط "بحيث يسود الهدوء يوم الانسحاب". وفي الواقع، فإن عملية نهاية الصيف لم تتجاوز مرحلة التخطيط، وتم فك الارتباط الأحادي الجانب في 2005/9/20.

عملية الأمطار الأولى،

2005/9/24 – 2005/10/2

هذه أول عملية شنتها إسرائيل ضد غزة بعد فك الارتباط معها، وكانت بهدف تحديد "قوانين اللعب" الجديدة، وتوقعاً لقيام السلطة الفلسطينية بالاستفادة من "الواقع الجديد" لإحكام قبضتها على الوضع الأمني في غزة، وقد قُتل في هذه العملية فلسطينيان على الأقل، وجرح 46 آخرون. بعد ثلاثة أيام من فك الارتباط الإسرائيلي مع غزة، استأنفت إسرائيل (9/23) عمليات الاغتيال، مستهدفة عناصر الجهاد الإسلامي في الضفة الغربية. وكردة فعل على ذلك، وعلى انفجار غامض وقع خلال اجتماع شعبي نظمته "حماس" في غزة، واعتقد في حينه (خطأً) أنه كان غارة إسرائيلية، استأنف الجهاد الإسلامي و"حماس" (9/23) إطلاق الصواريخ من غزة على إسرائيل وقد استمر حتى صباح 9/24. وردت إسرائيل بضربات جوية على شمال غزة بالمروحيات وبطائرات "أف - 16"، واغتالت ثلاثة أعضاء من "حماس"، وأطلقت قواتها البحرية النار على صيادي سمك فلسطينيين قرب شاطئ غزة، وحشدت الدبابات والمدافع على الحدود الشمالية لغزة.

ومع أن "حماس" والجهاد الإسلامي توقفا عن إطلاق النار في وقت مبكر من نهار 9/24، فإن إسرائيل أقرت عملية الأمطار الأولى، وباشرت تنفيذها في وقت متأخر من مساء ذلك اليوم، معلنة أنه من الضروري تحديد "قواعد اللعبة" بعد فك الارتباط، ومؤكدة بصورة خاصة، أن انتقام فصائل غزة للأحداث التي تجري في الضفة الغربية، هو أمر لا يمكن السكوت عنه. وقد استخدم الجيش الإسرائيلي المدفعية والغارات الجوية والاعتقالات في "هجوم شامل بجميع الوسائل المتاحة" لضرب أهداف خاصة بكتائب شهداء الأقصى و"فتح" و"حماس" والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في أنحاء غزة كلها، مهدداً في الوقت نفسه بإعادة القوات الإسرائيلية إلى القطاع إذا لم تهدأ الأوضاع فيه (بموازاة ذلك كله، نفذ الجيش الإسرائيلي حملات اعتقال شاملة، وغارات على مؤسسات خيرية إسلامية في الضفة الغربية، معتقلاً أكثر من 400 فلسطيني، معظمهم من الموالين لـ "حماس" والجهاد الإسلامي، لكن هذه الممارسات كلها، لم تكن، رسمياً، جزءاً من العملية). ومع أن "حماس" تعهدت بصورة رسمية (9/25) بعدم إطلاق مزيد من الصواريخ، والفصائل جميعها أكدت من جديد في 9/27، اتفاق وقف إطلاق النار الذي أبرم في شرم الشيخ في شباط/فبراير 2005، إلا أن الجيش الإسرائيلي تابع القصف المدفعي والغارات الجوية لأكثر من أسبوع. وعلقت إسرائيل العمليات في 10/2، معلنة أنها "أوضحت للجميع أن ثمة وضعاً جديداً هنا".

عملية عود على بدء،

2005/10/30 – 2005/10/26

إن العمليات التي استهدفت الجهاد الإسلامي و"حماس" في غزة والضفة الغربية كانت ترمي إلى توجيه رسالة فحواها أن إسرائيل سترد بقوة على الهجمات بالصواريخ وبقذائف الهاون التي تنطلق من غزة، وأنها لن تتساهل إزاء قيام الغزيين بالانتقام للأحداث التي تقع في الضفة الغربية. وتعتبر هذه العملية أول مسعى تقوم به إسرائيل لتقسيم شمال الضفة الغربية إلى كاتنونات بصورة دائمة، وقد قُتل 9 فلسطينيين، وجرح 25 آخرون على الأقل. قبل الشروع في العملية، اندلعت أعمال عنف متبادلة بين الفلسطينيين والإسرائيليين أطلق

شرارتها قيام إسرائيل في 10/24، باغتيال أحد القادة العسكريين من الجهاد الإسلامي في الضفة الغربية، ثم إطلاق الجهاد صواريخ من غزة على إسرائيل كرد على الاغتيال؛ وقد تصاعد الوضع (24 - 10/26) إلى غارات جوية شنها الجيش الإسرائيلي، وإلى قصف بالمدفعية على المناطق المكشوفة في شمال غزة، والتي تُستخدم لإطلاق الصواريخ، وعلى مبنى تابع للجهاد في رفح. كما جرى قصف من البحر لعدة مواقع للقوى الأمنية التابعة للسلطة الفلسطينية في شمال غزة (كعقاب للسلطة على فشلها في إحكام قبضتها على الوضع الأمني)، وأغلقت المعابر الحدودية في غزة، وأعلنت بعض أجزاء بيت حانون (قرب الحدود الشمالية لغزة) مناطق عسكرية مغلقة.

وفي 10/26، رد الجهاد الإسلامي بعملية انتحارية في الخضيرة في إسرائيل، قُتل فيها 5 إسرائيليّين، وجرح عشرون آخرون. وفي وقت متأخر من مساء ذلك اليوم أقرت الحكومة الإسرائيلية عملية عود على بدء، التي وصفتها بأنها هجوم "واسع ومتواصل" على "الإرهاب" في الضفة الغربية وغزة سيستمر إلى حين انتهاء "الإرهاب". وبعدما طلب الجيش الإسرائيلي من الفلسطينيين في شمال غزة عدم مغادرة منازلهم، بدأ بشن غارات جوية على المناطق الشمالية، مخترقاً جدار الصوت في سماء غزة على مدار الساعة (ذكرت الأونروا أن زجاج أكثر من 350 نافذة تهشم في المباني التابعة لها فقط)، كما أنه اغتال أحد قادة الجهاد الإسلامي الكبار (إضافة إلى قتل 5 أشخاص آخرين، ثلاثة منهم من المارة، وجرح 19 شخصاً). وخلال العملية، أطلق الجهاد الصواريخ وقذائف الهاون والقذائف المضادة للدبابات على إسرائيل، من دون أن يتسبب بأي أضرار أو إصابات (لم تشترك "حماس" في هذه العملية). وفيما يتعلق بالضفة الغربية، فإن أعمال الجيش الإسرائيلي تضمنت، بصورة أساسية، حملات اعتقال استهدفت عناصر الجهاد الإسلامي و"حماس"، وجرى معظمها في جنين ونابلس (أمّا الإجراء الشديد الخطورة، فهو أن الجيش الإسرائيلي بدأ بإنشاء نقطة تفتيش جديدة ورئيسية عند مفترق طرق مستعمرة تبواح جنوبي نابلس، بهدف فصل منطقتي نابلس وجنين بصورة دائمة عن باقي الضفة الغربية، وهو ما شكّل كانتوناً شمالياً في الضفة). وفي 10/30، عرض الجهاد الإسلامي وقف إطلاق النار إذا استجابت إسرائيل بالمثل، لكن هذه الأخيرة، وخلال ساعات، اغتالت قياديين آخرين من الجهاد الإسلامي في الضفة الغربية قرب جنين، وقد قُتل في العملية واحد من المارة، وجرح 6 أشخاص؛ وكردّ على العملية، أطلق الجهاد صواريخ من غزة على إسرائيل، لكنها لم تتسبب بأي أضرار أو إصابات. وهدأت الهجمات المتبادلة لاحقاً، مع أن إسرائيل لم تعلن رسمياً انتهاء العمليات.

عملية من دون اسم استهدفت شمالي غزة، وبدأت في 2005/12/5

عملية غير محددة زمنياً، ومتعددة الأوجه، هدفها المعلن هو وقف إطلاق الصواريخ من شمال غزة، لكنها تضمنت أيضاً عمليات متزامنة في الضفة الغربية، وقد قُتل فيها نحو 14 فلسطينياً، 11 منهم، على الأقل، تم اغتيالهم.

بعد أسبوع تقريباً من إطلاق الصواريخ وقذائف الهاون الفلسطينية، وعقب قيام إسرائيل بالقصف وبضربات جوية عبر الحدود مع غزة، نفّذ أحد عناصر الجهاد الإسلامي من جنين عملية انتحارية في נתانيا في إسرائيل، بتاريخ 12/5، قُتل فيها 5 إسرائيليّين، وجرح 31 آخرون. وكردّ على العملية، طالب المجلس الوزاري المصغر (12/5) برد أكثر قسوة ضد غزة يستمر شهراً واحداً، فبدأ الجيش الإسرائيلي فوراً (12/5) بشن هجمات على مواقع مفترضة لإطلاق الصواريخ في مناطق عمرانية وأخرى مكشوفة في شمال غزة، وأغلق حدود الضفة الغربية وغزة، وصعدت عمليات

الاغتيال، وقام بحملات اعتقال كبيرة في أنحاء الضفة استهدفت عناصر الجهاد الإسلامي. وخلال الفترة 12/5 - 12/18، نفذ الجيش الإسرائيلي 96 ضربة جوية استهدفت معظمها الطرق والجسور في غزة، وأطلق 95 قذيفة دبابة أكثرها على شمال غزة. وفتح النار عبر الحدود مع غزة 25 مرة على الأقل، وَاغْتال 11 فلسطينياً على الأقل (5 من كتائب شهداء الأقصى، وواحد من لجان المقاومة الشعبية في غزة؛ 3 من كتائب شهداء الأقصى، وواحد من "حماس"، وواحد من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في الضفة الغربية؛ كما قُتل اثنان من المارة على الأقل)، واعتقل أكثر من 120 شخصاً من الجهاد الإسلامي. وتلاه هذا الهجوم عملية السماوات الزرق (انظر أدناه).

عملية السماوات الزرق، بدأت في 2005/12/25

عملية غير محددة زمنياً، هدفها وضع حد لإطلاق الصواريخ وقذائف الهاون الفلسطينية من غزة، جزئياً عن طريق توسيع المنطقة المحظور دخولها شمالي غزة، والواقعة بين الشاطئ ومعبير إيرز بعمق 1.5 كيلومتر. وقد قُتل 31 فلسطينياً (17 منهم تم اغتيالهم) وجرح العشرات، مع أنه من الصعب إعطاء أعداد دقيقة نظراً إلى طبيعة العملية غير المحددة زمنياً.

مع تواصل إطلاق الصواريخ وقذائف الهاون الفلسطينية من غزة، وكذلك إطلاق الجهاد الإسلامي صواريخ قسام بعيدة المدى على عسقلان، الأمر الذي أدى إلى جرح 5 جنود إسرائيليين، أقر المجلس الوزاري المصغر (12/22)، عملية السماوات الزرق، لكن التنفيذ تأخر حتى 12/25، عندما أصدر رئيس الحكومة أريئيل شارون الأمر بذلك، لأنه كان أصيب بجلطة خفيفة في 12/20، وأصبح غير قادر مؤقتاً على أداء مهامه. وخلال الفترة بين 12/25 والانتخابات الفلسطينية التي جرت في 2006/1/25، قصف الجيش الإسرائيلي جواً وبالمدفعية، الطرق ونقاط العبور إلى المنطقة المحظور دخولها في شمال غزة (والتي كان الجيش الإسرائيلي وسّعها في 12/28، إلى عمق 1.5 كيلومتر)، كما أطلق النار على مواقع إطلاق الصواريخ، ونفذ غارات جوية وهمية شبه يومية، وهو ما أدى إلى استشهاد 3 مدنيين فلسطينيين على الأقل. بالإضافة إلى ذلك، اغتال الجيش الإسرائيلي 3 أعضاء من الجهاد الإسلامي، وأحد عناصر لجان المقاومة الشعبية في غزة. ومنذ بدء العملية، أبقَت إسرائيل حدود غزة مغلقة لفترات طويلة، ومنعت عبور الصادرات الزراعية الفلسطينية (في ذروة موسم الحصاد).

وردت كتائب شهداء الأقصى وكتائب أبو الريش والجهاد الإسلامي ولجان المقاومة الشعبية بتصعيد عمليات إطلاق الصواريخ، وأعلنت أنها لن تبذل أي جهد من جانبها لإعادة العمل بالهدنة التي أبرمت في شرم الشيخ في شباط/فبراير 2005، أو لتمديدتها، عند انتهائها رسمياً في 12/31. ولم تشارك "حماس" في الهجمات عبر الحدود، وقالت أنها ستلتزم الهدنة إلى حين إجراء الانتخابات الفلسطينية، ثم ستعيد تقويم موقفها.

ولدى اقتراب موعد الانتخابات، علقت العملية بشكل غير رسمي، لكنها استؤنفت رسمياً في 2006/2/3، بعد إطلاق الجهاد الإسلامي صاروخاً من غزة أصاب 3 إسرائيليين بجروح (بعد فوز "حماس" في الانتخابات في 1/25، استمرت في التزامها الهدنة). واستمر إغلاق الحدود، وصعدت إسرائيل وتيرة عمليات الاغتيال (اغتالت 7 أعضاء من كتائب شهداء الأقصى، و3 أعضاء من الجهاد الإسلامي، وحاولت في 2/15، اغتيال 3 مقاتلين في غزة على الأقل، لم تُعرف هوياتهم)، وتابع الجيش الإسرائيلي قصفه غزة بالمدفعية بمعدل 20 - 23 مرة في اليوم، ولغاية آذار/مارس

2006 على أقل تقدير. وبما أنه لم يُعلن رسمياً انتهاء عملية السماوات الزرق، وبما أن التكتيكات المستخدمة تحولت إلى إجراءات عمل ثابتة، فإن العملية استمرت فعلياً إلى أن حلت محلها عملية السهم الجنوبي التي بدأت في 2006/4/4. وبحلول ذلك التاريخ، ومنذ بدء عملية السماوات الزرق في 2005/12/25، كان قد قُتل 31 غزياً على الأقل (17 منهم، على الأقل، جرى اغتيالهم). كما جرح عشرات آخرون.

عملية السهم الجنوبي، بدأت في 2006/4/4

كان الهدف من رفع وتيرة العنف في عملية السماوات الزرق، هو إنهاء إطلاق الصواريخ الفلسطينية، أما عملية السهم الجنوبي فحملت، ولأول مرة، ردة فعل جديدة هي إطلاق 25 قذيفة مدفعية تقريباً على غزة، في مقابل كل صاروخ أو قذيفة هاون يطلقهما الفلسطينيون على إسرائيل، كما أنها مثلت أول غارة برية على غزة منذ فك الارتباط معها. وبما أن العملية لم تكن محددة زمنياً، فإنه من الصعب معرفة أعداد الضحايا، لكن 23 فلسطينياً، على الأقل، قُتلوا، وجرح 84 آخرون.

إن العملية الانتحارية التي وقعت في 3/30 قرب نابلس، والتي قُتل جرّاءها 4 مستوطنين يهود، تسببت بقيام الجيش الإسرائيلي في 4/3، باغتيال قائد كتائب شهداء الأقصى في الضفة الغربية، الأمر الذي أدى بدوره إلى رد انتقامي من الفلسطينيين تمثل في إطلاق صواريخ من غزة على إسرائيل (من دون أي إصابات)، وهذا ما دفع الجيش الإسرائيلي أخيراً، إلى إطلاق (4/4) عملية أخرى غير محددة زمنياً، أطلق عليها اسم عملية السهم الجنوبي. وبما أن هذه العملية في جوهرها هي تصعيد لعملية السماوات الزرق، فإن الجيش الإسرائيلي قام بزيادة وتيرة غاراته الوهمية على غزة، وسدد نيران مدفيعته إلى مواقع قريبة بدرجة كبيرة من المناطق السكنية الفلسطينية، وأقام بطارية مدفعية جديدة على الحدود الجنوبية لغزة قرب معبر كرم أبو سالم، وطبق سياسة الرد على الصواريخ الفلسطينية بنيران المدفعية بمعدل 1:25. وبحلول 4/9، كان الجيش الإسرائيلي قد أطلق أكثر من 750 قذيفة رداً على 40 صاروخاً فلسطينياً، أطلق الجهاد الإسلامي معظمها.

وفي إثر العملية الانتحارية التي نفذها الجهاد الإسلامي في تل أبيب في 4/17، والتي قُتل فيها 11 إسرائيلياً، وجرح 57 آخرون، صعّد الجيش الإسرائيلي وتيرة العملية، فأضاف، على طول الحدود مع غزة، أبراج مراقبة ومراكز حراسة جديدة، وأرسل الجرافات إليها لفتح مجال الرؤية عبر الحدود، وزاد في وتيرة القصف. وفي 5/14، ذكر الجيش الإسرائيلي أنه، اعتباراً من 3/30، أطلق أكثر من 5100 قذيفة على غزة، انتقاماً لإطلاق 200 صاروخ فلسطيني لم تتسبب بإصابات أو بدمار. وبدءاً من 5/14، كان قد قُتل 3 فلسطينيين، وجرح 43 آخرون جرّاء القصف المدفعي، كما اغتيل 16 فلسطينياً (6 من كتائب أبو الريش؛ 4 من لجان المقاومة الشعبية؛ اثنان من كتائب شهداء الأقصى؛ اثنان من الجهاد الإسلامي؛ اثنان من المارة)، وجرح 34 آخرون (بمن فيهم 28 من المارة). وتم استهداف 5 أشخاص آخرين من الجهاد الإسلامي لكنهم نجوا، كما دُمّر العديد من المنازل والأبنية التجارية جرّاء القصف.

وفي سابقة هي الأولى من نوعها في العمليات، أرسل الجيش الإسرائيلي، في 5/29، قوات برية إلى غزة كمنت لثلاثة أعضاء من الجهاد الإسلامي كانوا يعدّون الصواريخ وقتلتهم، وجرفت

المنطقة من أجل فتح مجال الرؤية، ثم انسحبت. وبعد ذلك، عبرت المروحيات الإسرائيلية الحدود وأطلقت النار على الموقع الذي قُتل فيه الأعضاء الثلاثة، فجرحت 4 أطباء فلسطينيين وصحافيين اثنين كانوا قدموا إلى الموقع، وعادت مرة أخرى فأطلقت النار على قوات أمن تابعة للسلطة الفلسطينية وموالية لـ "حماس" كانت تتفقد مكان الحادث، فقتل ضابط وجرح واحد من المارة. وعلى غرار عملية السماوات الزرق، فإنه لم يُعلن رسمياً، انتهاء عملية السهم الجنوبي، كما يمكن القول إنها، كعملية السماوات الزرق، استمرت إلى أن حلت محلها العملية التالية لها، وهي عملية أمطار الصيف في 6/27.

عملية أمطار الصيف، بدأت في 2006/6/27

أطلقت هذه العملية كرداً على أسر العريف في الجيش الإسرائيلي غلعاد شاليط عند الحدود الجنوبية لغزة، وكان الهدف الأساسي من هذا الهجوم البري المستمر على كامل أنحاء غزة (الأول منذ فك الارتباط معها)، والمترافق بضربات جوية، هو استرجاع الجندي، لكنه، وبدءاً من 2006/7/1، تحول ليصبح اجتثاث "البنية التحتية الإرهابية" في غزة، وزعزعة استقرار السلطة الفلسطينية التي تقودها "حماس". وكانت هذه العملية، شأنها شأن العمليات الثلاث التي سبقتها، غير محددة زمنياً، وقد قُتل فيها 48 غزياً على الأقل، وجرح أكثر من 100 شخص في المرحلة الأولى من العملية حتى 7/8. وخلال الأسابيع (ويقال الأشهر) التالية، دُمّرت مئات البيوت الفلسطينية، وجرفت آلاف الدونمات من الأراضي الزراعية، ومات وجرح مئات الفلسطينيين في أنحاء القطاع كافة.

خلال ليلة 27 - 6/28، بدأ الجيش الإسرائيلي تنفيذ عملية أمطار الصيف، بداية لتحرير العريف غلعاد شاليط (الذي أُسر في هجوم مشترك شنته "حماس" ولجان المقاومة الشعبية وجيش الإسلام عند معبر كرم أبو سالم)، وقد استولت القوات البرية التي أرسلت إلى جنوب غزة على موقع مطار الدهنية، ودمرت الجسور التي تربط جنوب غزة بوسطها، في حين حشدت قوات إضافية على الحدود الشمالية لغزة مهددة باجتياح بري من الشمال إذا صعد الفلسطينيون وتيرة إطلاق الصواريخ. في هذه الأثناء، كان يجري تنفيذ ضربات جوية وقصف مدفعي مركز ضد أهداف عسكرية، وضد البنية التحتية الفلسطينية في أنحاء غزة، بما في ذلك محطة توليد الكهرباء في غزة، الأمر الذي أدى إلى انقطاع الكهرباء عن 45% من القطاع وجعله معتمداً على إسرائيل من أجل الحصول على الطاقة الكهربائية (في الوقت نفسه، أصدر رئيس الحكومة الإسرائيلية، إيهود أولمرت، وأمره بالقيام بحملات اعتقال شاملة في أنحاء الضفة الغربية كلها في 28 - 6/29، اعتقل خلالها 64 عضواً من كبار قادة "حماس" السياسيين، بمن فيهم 8 وزراء في السلطة الفلسطينية، و26 عضواً من اللجان الشعبية موالون لـ "حماس"، بالإضافة إلى 23 من قياديين كتائب عز الدين القسام).

وفي 7/1، وبعد أن تبين أن مكان وجود شاليط لن يُعرف خلال فترة وجيزة، أعيد التركيز في عملية أمطار الصيف على معاقبة الحكومة التي تقودها "حماس"، وعلى زعزعة استقرارها، فأعطى المجلس الوزاري المصغر موافقته على تصعيد الهجمات البرية على غزة، بما في ذلك إعادة احتلال مواقع المستعمرات السابقة بحسب ما تتطلبه ضرورة اجتثاث "البنية التحتية الإرهابية" في غزة،

هذا بالإضافة إلى زيادة قطع الوقود والكهرباء، وكذلك تقليص توزيع المياه، ومعالجة مياه الصرف؛ كما تم قصف مبنى وزارة الداخلية، ومكاتب المخابرات التابعين كليهما للسلطة الفلسطينية، ومراكز قوة الدعم التنفيذية، المؤيدة لـ "حماس"، في أنحاء غزة كافة. وبتاريخ 7/3، حرك لواء غفغاتي دباباته وجنوده إلى داخل شمال غزة محتلاً مشارف بيت حانون، ومنطقة إيرز الصناعية، والموقع السابق لمستعمرة نيتسانيت، وأمر قوات الأمن التابعة للسلطة الفلسطينية بالانسحاب، واستولى على منازل فلسطينية لاستخدامها قواعد للعمليات، وجرف الأراضي ومبنى الأمن التابع للسلطة الفلسطينية بحثاً عن أنفاق وعن قنابل يمكن أن تكون مزروعة على جانب الطريق، كما نفذ غارات جوية. وبعد أن ردت "حماس" بإطلاق صاروخين ثنائيين المرحلة من طراز قسام 2 على عسقلان (دمراً مدرسة)، صعّد الجيش الإسرائيلي (7/5) عملياته، فأرسل مزيداً من القوات إلى شمال غزة، وزحف جنوباً في اتجاه مخيم جباليا للاجئين، وأعاد احتلال مواقع المستعمرات السابقة على طول الشاطئ الشمالي لغزة لجعلها قواعد لانطلاق الغارات البرية على مناطق العمران الفلسطينية (وخصوصاً بيت لاهيا). واشتبك الفلسطينيون مع القوات البرية مستخدمين قذائف آر. بي. جي. والبنادق، والقنابل المزروعة على جانب الطريق، وأطلقوا 25 صاروخاً تقريباً على إسرائيل (أصاب 3 إسرائيليين بجروح طفيفة). وانسحب الجيش الإسرائيلي من شمال غزة خلال ليلة 7-7/8، لكنه في اليوم التالي (7/8)، صعّد وتيرة عملياته في جنوب غزة، وبدأ اجتياحاً برياً استمر طوال اليوم لشرق غزة قرب معبر كرني، قصف خلاله المناطق المحيطة بمدينة غزة. وفي 7/8، كان قد قُتل أكثر من 48 غزياً، وجرح أكثر من 100 آخرين.

وفي 7/9، كان أولمرت قد أعلن نية الجيش الإسرائيلي "القيام بعمليات [داخل غزة] ودخولها والانسحاب منها بحسب ما تقتضي الضرورة"، وطوال الفترة اللازمة لتحقيق أهدافه، وفي 7/12، انسحبت القوات البرية من جنوب غزة. وبدءاً من ذلك الوقت، بدأ الجيش الإسرائيلي، وبصورة روتينية، شنّ هجمات برية تدوم يوماً كاملاً (وأحياناً أكثر من ذلك) على شمال غزة ووسطها وجنوبها، ومن دون تمييز بينها (استناداً إلى بعض المصادر، أطلق الجيش الإسرائيلي على هذه المرحلة من عملية أمطار الصيف، وبصورة غير رسمية، اسم "عملية الجندب" في إشارة إلى قفز القوات إلى داخل غزة، ثم القفز خارجها). واعتباراً من أواسط تموز/يوليو 2006 ولغاية آب/أغسطس 2006، ازدادت وطأة العمليات بشكل خاص: ضربات جوية إسرائيلية يومية (221 ضربة خلال تموز/يوليو 2006 وحده) استهدفت منازل قياديي الجماعات المسلحة ومكاتب حكومة السلطة الفلسطينية، بما في ذلك مكاتب كل من رئيس حكومة السلطة الفلسطينية، ووزير خارجيتها، ووزير الداخلية، ووزير الاقتصاد، ومراكز عديدة لقوة الدعم التنفيذية. وكان الجيش الإسرائيلي يقصف غزة بمعدل 200 - 250 قذيفة في اليوم، وبحلول 7/31، كانت المئات من منازل الفلسطينيين قد دمرت، كما جُرف 3666 دونماً تقريباً من الأراضي، وقُدّر الدمار الذي حل بالبنى التحتية في غزة بـ 15.5 مليون دولار. وبتاريخ 8/15، كان قد قُتل 213 غزياً على الأقل، وجرح 650 منذ بدء عملية أمطار الصيف.

وهدأت حدة العمليات نوعاً ما في أيلول/سبتمبر 2006 ولغاية 2006/10/12، وهبط معدل القذائف إلى 40 قذيفة يومياً، لكنه لم يكن ليمر أسبوع من دون حدوث اجتياح بري؛ وطوال تلك الفترة كانت تجري حملات اعتقال، وعمليات جرف لمساحات كبيرة من الأراضي، وللمنازل

وللخيم الزراعية البلاستيكية، مع تدمير متزايد لشبكات الماء والكهرباء، إضافة إلى الاغتيالات، وكانت الحصيلة مقتل 15 فلسطينياً على الأقل، وجرح 25 آخرين (4 من الذين قُتلوا كانوا في السابق هدفاً للاغتيال، وقد حاولت إسرائيل اغتيال 5 آخرين، لكن المحاولات باءت بالفشل)، كما أن الجيش الإسرائيلي أعاد احتلال شريط داخل الحدود الجنوبية لغزة بين معبر كرم أبو سالم ورفح. واستمر إطلاق الصواريخ الفلسطينية من غزة على إسرائيل بمعدل صاروخ في اليوم، وهو ما تسبب بإصابة 3 إسرائيليين بجروح خلال الفترة 9/1 – 10/12. وتصاعدت وتيرة القتال من جديد بعد محاولة إسرائيل اغتيال قائد كبير من "حماس" في مدينة غزة، بتاريخ 10/12. ومرة أخرى، لم تُعلن نهاية العملية بشكل رسمي، ويمكن اعتبارها استمرت إلى أن حلت محلها عملية غيوم الخريف في 2006/11/1.

عملية أمطار الصيف: عمليات فرعية

على الرغم من أن أغلبية الاجتياحات البرية التي حدثت بعد الأسبوعين الأولين من عملية أمطار الصيف، استمرت يوماً واحداً فقط، فإن بعضها استمرت فترة أطول، وهناك اجتياحان على الأقل أُطلق على كل منهما اسم خاص به، وهما:

عملية أعمدة شمشون،

2006/7/28 – 2006/7/28

اجتياح استمر ثلاثة أيام لشمال غزة والمناطق المحيطة بمدينة غزة، قُتل فيه 27 فلسطينياً، وجرح 66 آخرون على الأقل.

تضمنت هذه العملية الفرعية اشتباكات برية عنيفة وضربات جوية موجهة إلى المقاتلين الفلسطينيين في شمال غزة، وفي الضواحي الشمالية لمدينة غزة. وقد جرف الجنود الإسرائيليون 80 دونماً على الأقل من الأراضي الفلسطينية، ودمروا 9 منازل، وألحقوا أضراراً كبيرة بـ 16 منزلاً، وتسببوا بمقتل 14 مقاتلاً فلسطينياً و13 مدنياً على الأقل، وبجرح 66 آخرين على الأقل.

عملية حضانة الأطفال المغلقة،

2006/8/31 – 2006/8/27

عملية متفرعة من عملية أمطار الصيف استهدفت مدينة غزة، وقُتل فيها 19 فلسطينياً، وجرح 30 آخرون على الأقل.

أرسل الجيش الإسرائيلي جنوداً ودبابات وجرافات ومروحيات إلى الأحياء الشرقية من مدينة غزة لاجتثاث "البنى التحتية الإرهابية" هناك، ووجه تحذيراً إلى السكان كي يخلوا المنطقة، وأطلق النار على المناطق السكنية، واحتل المنازل لاستخدامها مراكز للمراقبة، وتبادل إطلاق النار مع المقاتلين الفلسطينيين، وقصفهم جواً من المروحيات والطائرات من دون طيار. وقُتل في هذه الغارة 12 مقاتلاً فلسطينياً و7 أشخاص من المارة، وجرح مقاتلان على الأقل، و29 شخصاً من المارة. وذكر أنه خلال هذه الغارة تم اكتشاف وتدمير نفقين للتهريب قرب معبر كرني.

عملية غيوم الخريف،

2006/11/8 – 2006/11/1

هجمات كبيرة برية وجوية على شمال غزة (بيت حانون، بيت لاهيا، جباليا، أجزاء من مدينة

غزة) رداً على تصعيد الفلسطينيين عمليات إطلاق الصواريخ، وقد قُتل 82 فلسطينياً وجندي إسرائيلي واحد، وجرح 262 فلسطينياً وثلاثة جنود إسرائيليين، كما تم جرف 250 دونماً من الأراضي، وتدمير أو إلحاق أضرار كبيرة بـ 150 منزلاً. وقُدرت الخسائر بـ 23 مليون دولار. بعد محاولة إسرائيل، في 10/12، اغتيال أحد كبار قادة "حماس" في مدينة غزة، استأنفت "حماس" إطلاق الصواريخ من غزة، فأصيب أربعة إسرائيليون بجروح طفيفة خلال الأسبوعين التاليين، وردت إسرائيل في 11/1 بغارة واسعة على غزة سمّتها عملية غيوم الخريف، التي حلت محل عملية أمطار الصيف غير المحددة زمنياً. وخلال هذه العملية التي استمرت أسبوعاً، أرسل الجيش الإسرائيلي المئات من جنود المشاة، والدبابات، والمروحيات، إلى بيت حانون وبيت لاهيا ومخيم جباليا للاجئين، وإلى أجزاء من مدينة غزة، فأغلق تلك المناطق وفرض عليها حظر التجول، واحتل المنازل لاستخدامها مراكز للمراقبة، وجمع الذكور الذين تتراوح أعمارهم ما بين 16 و45 عاماً، واشتبك مع المقاتلين من الأهالي، وقام بعمليات جرف لمساحات كبيرة من الأراضي. وفي هذه الأثناء، كان الجيش الإسرائيلي يقصف هذه المناطق بعنف، فنفذ ما يقرب من 240 ضربة جوية، و10 عمليات اغتيال على الأقل، لأشخاص كانوا مستهدفين من جانبه، وعندما انسحب في 11/8، كان قد قُتل 82 فلسطينياً (بمن فيهم طيبان، و50 مدنياً، كما أن 10 أشخاص على الأقل اغتيلوا)، وجرح 262 شخصاً (بمن فيهم 58 امرأة و67 طفلاً على الأقل). وقُدرت الأضرار المادية بـ 23 مليون دولار، بما في ذلك - إضافة إلى المنازل المدمرة أو المتضررة والأراضي الزراعية التي تم جرفها - تدمير مسجد يعود إلى القرن الثاني عشر، وإلحاق أضرار بثلاثة مساجد أخرى وبعده مدارس ومستشفى واحد. وخلال هذه الاشتباكات البرية، قُتل جندي إسرائيلي واحد، وجرح ثلاثة آخرون. وفي أثناء الاجتياح، صعّد الفلسطينيون وتيرة إطلاق الصواريخ، الأمر الذي أدى إلى جرح ثمانية إسرائيليين داخل إسرائيل.

عملية من دون اسم

ضد شمال غزة،

2006/11/26 - 2006/11/21

كان الهدف من هذه الحملة الجوية البرية التي تبدو تكراراً لعملية غيوم الخريف، والتي نُفذت ضد شمال غزة (بيت حانون؛ بيت لاهيا؛ مدينة غزة؛ جباليا)، الحد من إطلاق الصواريخ الفلسطينية، وقد قُتل فيها 22 فلسطينياً، وجرح 67 آخرون على الأقل، وتم تدمير 10 منازل و10 مواقع عمل، وجرف 80 دونماً من الأراضي.

في 11/20، اغتال الجيش الإسرائيلي اثنين من قياديي "حماس"، وقام بمحاولات لاغتيال اثنين آخرين في غزة، الأمر الذي أدى إلى زيادة إطلاق الصواريخ من غزة على إسرائيل، الأمر الذي تسبب بمقتل إسرائيلي واحد في 11/21. وفي هذا اليوم نفسه، رد الجيش الإسرائيلي على ذلك، فأرسل مرة أخرى 1000 جندي تقريباً إلى بيت حانون، وبيت لاهيا، ومدينة غزة، ومخيم جباليا للاجئين، حيث اشتبك مع المقاتلين من الأهالي، وقام بتفتيش البيوت بحثاً عن فلسطينيين مطلوبين وعن ذخائر، ونفذ ضربات جوية على أماكن الصيرفة الخاصة بالمجموعات المسلحة. وخلال هذه العملية، أعلنت "حماس" مسؤوليتها عن عملية انتحارية (هي أول عملية لها منذ عامين) استهدفت جنوداً إسرائيليين في بيت لاهيا، وأدت إلى إصابة ثلاثة منهم بجروح طفيفة.

ونتيجة ذلك، صعّد الجيش الإسرائيلي وتيرة عملياته البرية وقصف شمالي غزة، كما صعّد الفلسطينيون وتيرة إطلاق الصواريخ.

وانتهت العملية بعد أن استطاع محمود عباس، رئيس السلطة الفلسطينية، ومن خلال مفاوضات مع "حماس" والفصائل الأخرى، تأمين (11/25) تعهد بقبول هدنة لستة أشهر إذا ما التزمت إسرائيل ذلك بالمثل. وقد قبل أولمرت الاتفاق الشفهي في 11/25، وتوقفت الفصائل الفلسطينية في غزة (عدا الجهاد الإسلامي) عن إطلاق النار في 11/26، وبحلول مساء ذلك اليوم، انسحب الجيش الإسرائيلي انسحاباً كاملاً من غزة وتوقف إطلاق النار.

[خلال الفترة 2006/11/26 – 2008/2/28، أي 15 شهراً كاملاً، لم تحدث أي عملية عسكرية إسرائيلية تحمل اسماً، مع أن الحصار الإسرائيلي لغزة استمر، وكذلك العمليات العسكرية الروتينية، بما فيها الضربات الجوية من حين إلى آخر، والاعتقالات، وجرف الأراضي، وإطلاق النار من البحر وعبر الحدود؛ إلا أن ثمة سبباً آخر لتوقف العمليات الرسمية خلال تلك الفترة، وهو تغيير إسرائيل طريقة تنسيقها المشترك مع الولايات المتحدة والسلطة الفلسطينية في رام الله، وذلك من أجل زعزعة استقرار، أو إطاحة الحكومة التي تقودها "حماس" في غزة (عبر "فتح"). غير أنه بعد أن قامت "حماس" بطرد "فتح" في حزيران/يونيو 2007، أحكمت إسرائيل الحصار الاقتصادي على غزة، وصعدت هجماتها عبر الحدود، وبدأت تعد العدة لعملية اجتياح كبيرة].

عملية الشتاء الساخن،

2008/2/28 – 2008/3/3

هذه العملية المدعومة بضربات جوية مكثفة، والتي استهدفت "البنية التحتية الإرهابية" في غزة، وركزت على شمال غزة ووسطها، هي أكبر عملية اجتياح بري لغزة منذ فك الارتباط معها في سنة 2005. وقد رأى بعض الخبراء في هذه العملية تجربة لا اختبار مقاومة الفلسطينيين إذا ما أعيد احتلال غزة من أجل إطاحة "حماس"، ووضع حد لإطلاق الصواريخ. وقتل في هذه العملية 111 فلسطينياً (نصفهم من المدنيين) و3 إسرائيليون (بينهم مدني واحد)، وجرح أكثر من 400 فلسطيني (معظمهم من المدنيين)، وأوقف 80 فلسطينياً للاستجواب، وجرف 90 دونماً من الأراضي، كما تم تدمير 21 منزلاً فلسطينياً، وألحقت أضراراً كبيرة بـ 88 منزلاً، الأمر الذي ترك أكثر من 750 فلسطينياً بلا مأوى.

رداً على تصعيد الفلسطينيين إطلاق الصواريخ من غزة على إسرائيل، والذي أدى إلى مقتل إسرائيلي واحد، وجرح اثنين آخرين في 2/27 (كانت تلك أول حالة خسارة بالأرواح جراء إطلاق الصواريخ منذ تسعة أشهر، والحالة الرابعة عشرة منذ أن بدأ الفلسطينيون إطلاق الصواريخ في سنة 2001)، أطلقت إسرائيل عملية الشتاء الساخن، وكانت تشتمل في البداية، على ضربات جوية مكثفة (20 ضربة في أول يوم فقط) تركز معظمها على شمال غزة ووسطها، وقتل فيها 20 فلسطينياً، وأصيب أكثر من 50 شخصاً بجروح. ورد الفلسطينيون بإطلاق 31 صاروخاً و15 قذيفة هاون على إسرائيل، أصابت إسرائيليين اثنين بجروح. وقد أدى تبادل القصف في 2/29 إلى مقتل 4 فلسطينيين، وإصابة 50 فلسطينياً وإسرائيلي واحد بجروح.

خلال ليلة 2/29 – 3/1، بدأ الجيش الإسرائيلي أكبر اجتياح بري لغزة منذ فك الارتباط معها في سنة 2005، فأرسل أعداداً كبيرة من جنود المشاة إلى شمال غزة، وصولاً إلى جنوبي مدينة

غزة. وقام الجنود الإسرائيليون، المدعمون بالدبابات وبالمروحيات وبالطائرات الحربية، بتفتيش البيوت، بيتاً بيتاً، بحثاً عن الأسلحة في منطقة جباليا، واشتبكوا مع المقاتلين من الأهالي، واحتلوا المنازل لاستخدامها مراكز للقيادة، ووجهوا نيران الدبابات على المناطق السكنية والتجارية، وجمّعوا عشرات الفلسطينيين للاستجواب، وجرفوا شبكات الكهرباء والهاتف. وقد استهدفت الغارات الجوية المكثفة في أنحاء غزة كلها، مسجداً، ومنزلاً لأحد قياديي "حماس"، وكثيراً من المستودعات التي اشتبه في أنها مخازن أسلحة، وعدة مراكز للشرطة. وفي 3/1، كان قد قُتل 62 فلسطينياً على الأقل، وأصيب 175 آخرون بجروح، الأمر الذي جعل هذا اليوم هو أكثر الأيام دموية منذ اندلاع انتفاضة الأقصى. كما قُتل، في القتال العنيف الذي دار داخل غزة، جنديان إسرائيليان، وأصيب 7 آخرون بجروح، في حين أصيب 6 إسرائيلييين بإصابات طفيفة نتيجة إطلاق 24 صاروخاً على إسرائيل.

وبسبب شراسة الهجوم، قام عباس (وبضغط كبير من الفصائل الفلسطينية) بتعليق مفاوضات السلام التي كانت جارية مع إسرائيل في 3/2، وفي ذلك اليوم نفسه، طالب مجلس الأمن بوقف فوري لإطلاق النار، كما شجب الاتحاد الأوروبي "الاستخدام المفرط للقوة" من جانب إسرائيل، وكذلك لجوءها إلى "العقوبة الجماعية". ورفضت الولايات المتحدة إدانة العملية الإسرائيلية، وصرحت (3/1) "أن هناك فرقاً واضحاً بين هجمات الصواريخ الإرهابية... وبين أعمال الدفاع عن النفس".

وبدأت إسرائيل التي أعلنت رسمياً "توقفاً مؤقتاً" للعمليات، وذلك استعداداً للزيارة المرتقبة لوزيرة الخارجية الأميركية، كوندوليزا رايس، في 3/4، بسحب قواتها من غزة في منتصف ليلة 3/2، وأجلت قواتها البرية كلها من غزة باكراً في 3/3. ويرى بعض المحللين العسكريين (انظر: *New York Times*, 6/3/2008) أن عملية الشتاء الساخن، ولا سيما العمليات في جباليا، يمكن أن تكون تجربة لحملة برية أوسع، واختباراً للتدريب على كيفية الاستيلاء على منطقة مكتظة بالسكان وتسيطر عليها "حماس"، ولتقدير مدى ونوع المقاومة التي يمكن أن يواجهها الجيش الإسرائيلي إذا ما حاول إعادة احتلال غزة. وقد اعترف عضو الكنيست عن حزب الليكود، يوفال شتاينيتس، فيما بعد، وذلك في مقابلة مع قناة "الجزيرة" الفضائية، في 4/1/2009، بأن إسرائيل كانت قد بدأت تعد فعلياً، لعملية الرصاص المسبوك، خلال تلك الفترة. ■

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
<http://www.palestine-studies.org/ar/mdf>